الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم:10 التلقي عند أيزر

1- التعريف بأيزر:

ينتمي فولفغانغ آيز (1926،2007) إلى جامعة "كونستانس" ويُعد من مؤسسي نظرية التلقي، و قد كان أستاذ اللغة الانجليزية، والفلسفة واللغة الألمانية. اشتغل بالتدريس بعدة جامعات داخل ألمانيا وخارجها، وترجع أولى اهتمامات هذا الباحث بمجال التلقي إلى عمله المبكر الموسوم "بالبنيّة الجاذبية في النص" الصادر سنة 1970 والذي تُرجم إلى اللغّة الفرنسية تحت عنوان "الإلهام واستجابة القارئ للأدب الخيالي النثري."

2- نظرية التلقي عند أيزر:

ركّز "إيزر" في طروحاته على قضية التفاعل بين النص و القارئ لأنها«نقطة البدء في نظرية "فولفانغ أيزر" الجمالية هي تلك العلاقة الدياليكتية التي تجمع بين النّص والقارئ وتقوم على جدلية التفاعل بينهما في ضوء استراتيجيات عدة».

اعتمد " أيزر" في فهمه لعملية القراءة و بناء المعنى على مفهوم آخر مختلف عن التيارات النّقدية التي سبقته متأثرا بالظّاهراتية و نظرتها للعمل الأدبي التي أكدت على أنه«لا يجب أن نصب اهتمامنا على النص الأدبي فقط بل أيضا بمعيار مساو بالأفعال المتضمّنة داخل الاستجابة الجمالية لهذا النّص»، لهذا اهتم " أيزر" بالنص الفردي و علاقة القرّاء به انطلاقا من الاتجاه الظاهراتي الذي يحرص على دور الذّات في بناء الفهم الذي هو نتاج التّفاعل بين النّص والقارئ، ويرى العمل الأدبي ليس نصا مكتملا وليس له وجود حقيقي إلا بوجود القارئ بل هو تركيب والتحام بينهما–النص والقارئ– لأنّهما يشكّلان بعضهما.

لهذا السبب نبهت الظاهراتية إلى أنّ دراسة العمل الأدبي ليس الاهتمام بالنص فقط بل كذلك الاهتمام بالأفعال المرتبطة بالتجاوب مع النّص هذا ما تأثر به"أيزر"،وذلك بقوله:« فالنّص ذاته لا يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنّص بينما يحدث الإنتاج الفعلي من خلال فعل التّحقّق، ومن هنا يمكن أن نستخلص أنّ للعمل الأدبي قطبين قد نسمّيهما: القطب الفنّي والقطب الجمالي،الأوّل هو نص المؤلّف و الثّاني هو التّحقّق الذي ينجزه القارئ».

أي أنّ القطب الفنّي يكمن في النّص المتحقّق عبر النّسيج اللّغوي وما يتضمّنه المؤلّف في نصّه، أمّا القطب الجمالي فهو التّحقق الذي ينجزه القارئ عبر عملية القراءة، والعمل الأدبي لا سبيل لتحقيقه إلّا من خلال التّفاعل المتبادل بين نصّ المؤلّف والقارئ.

التّفاعل بين النّص والقارئ هو الشّيء الأساس في فعل القراءة من منظور "أيزر" أي إخراج النّص من حيّزه المجرّد إلى حيّزه الملموس(العمل الأدبي)، لأنّ العمل الأدبي عند "أيزر" لا يقصد به النّص إلاّ بعد أن يتحقق ويتجسّد عن طريق التّفاعل مع القارئ.

يقدم"أيزر" مجموعة من المفاهيم الإجرائية، التي تضمن عملية القراءة والمتمثلة في (القارئ الضمني)،(السجل النصي)، (الاستراتيجيات)،(مستويات المعنى) (مواقع اللاتحديد).

1- القارئ الضمني:Lecteur implicite

يفهم مما سبق أنّ العمل الأدبي لا يتحقق من تلقاء نفسه، وإنّما استنادا إلى فعل انجازي يقوم به القارئ الذي هو طرف ملازم للنص والتفاعل معه، وليس للقارئ الضّمني سوى دور القارئ المسجل داخل النص« هو بنية النّص تتوقّع حضور متلقّ دون أن تحدده بالضّرورة، إنّ هذا المفهوم يضع نيّة مسبّقة للدّور الذي ينبغي أن يتبنّاه كل متلقّ على حده».

إلاّ أنّ هناك نوع من القرّاء تتبنّاه طائفة من الباحثين ممن يهتمّون بشعرية التّواصل فهناك "القارئ المتميز" عند" ميشال ريفاتير"Michael Riffaterrie و"القارئ النّموذجي" عند" امبرتو ايكو"Umberto Eco إلا أن هذه الأنواع من القراء في نظر"أيزر" عاجزة و غير قادرة على التّفاعل مع النّص، حيث سعى إلى تجاوزها ليصل بمفهوم معين بشأن القارئ و هو مفهوم" القارئ الضّمني" «فالقارئ الضّمني كمفهوم له جذور متأصلة في بنية النّص، إنّه تركيب لا يمكن بتاتا مطابقته مع أي قارئ حقيقي» . إنّ هذا القارئ له جذور مغروسة بصورة راسخة في بنية النّص هو المفهوم البديل الذي يتناسب تماما مع توجهات نظرية"إيزر" وإنّ لكل نص أدبي مرجعيات خاصة،بإمكان القارئ المساهمة في تجسيدها في إنتاج المعنى الكامن داخل النّص.

وعليه، إنّ القارئ الضّمني هو محور عملية القراءة، وهو مفهوم تجريدي ليس قارئا حقيقيا أوقارئا فعليا،إذ إنّه يحاول أن يجعل لنفسه وظيفة خاصة في فهم النّص الأدبي و تحقيق

استجابات فنية لتجاربه التي أصبحت خلفية مرجعية يستند إليها في عملية بناء المعنى،وهي وظيفة حيوية بين النّص وبينه.

2 – مواقع اللاتحديد:Emplacements non identifier

أخذ " أيزر" هذا المفهوم من "انجاردن" حيث ينظر إلى النّص على أنّه جوانب تخطيطية مصحوبة بفراغات، يسميها "انجاردن" بالفجوات أو مواقع اللاتحديد، بفضلها يستطيع أن يدخل كل من القارئ والنّص في علاقة حوارية تفاعلية لبناء المعنى«تحدث اضطراب في ذهن القارئ الذي يفجر نشاطه المكوّن،هذا النشاط الذي لا يمكن أن يهدأ إلا بفعل إنتاج الموضوع الجمالي» عناصر اللاتحديد هي التي تمكّن النّص من التّواصل مع القارئ بمعنى أنّها لا تحثّه على المشاركة في الإنتاج؛« يعتبر"ايزر" القيمة الجمالية في حدّ ذاتها نتاجا لعملية التّحقيق و سد أماكن اللاتحديد النّصية» حيث أن المتلقّي هو من يتكفّل بإعطاء دلالات متعدّدة للنّص عبر عملية ملئ الفراغات، لأنّها العنصر الأساسي المسؤول عن إحداث الاستجابة الجمالية، كما أنّها الطريقة التي تمكن النّص الأدبي من ممارسة نوع من الإغراء الجمالي يجعل القارئ يقبل على قراءة النّص وبالتالي المشاركة في بناء معناه .

3 – السجل النصي: Le répertoire du texte

هو كل الإحالات التي يتم بها بناء المعنى، و تكون هذه الإحالات إلى ما هو سابق على النّص وهو ليس جديد جدة مطلقة، بل يستند إلى مجموعة من المرجعيات كالنّصوص الأخرى أو كل ما هو خارج عنه كالسّياقات الخارجية المختلفة، كما يشير إليه عبد الكريم شرفي:«بأنّه عبارة عن مجموعة من المعايير والمواضعات والاتّفاقات التي تكون سابقة عليه ومعروفة لدى جمهور المتلقّين،والتي يستطيع بفضلها أن يخلق وضعية سياقية مشتركة بينه و بين القارئ» ؛ أي أنّ النّص لحظة قراءته يتطلب سجل_النّص_الذي في ظلّه تتم عملية التّفاعل بينه وبين القارئ ويتحدّد الأفق،والمعنى الناتج عنه يكون دائما بتفعيل البنيات النّصية الممنوحة والإستراتيجيات التي توجه القارئ .

4 – الاستراتيجيات النصية : Les Stratégies Textural

هي عبارة عن مجموعة من القوانين التي لا بد لها من مرافقة التواصل الذي يتم بين المؤلف والقارئ، وظيفتها أنّها تصل بين عناصر السّجل و تقييم العلاقة بين السّياق المرجعي و المتلقّي، أنّها تقوم برسم معالم موضوع النّص ومعناه و«هي المسؤولة عن كيفية توزيع وترتيب وتنظيم عناصر السّجل على النّسيج النّصي،وبالتّالي على ضوئها يتحدّد النّص في بناءه وفي شكله الخاص».

أي إمكانية الاستعانة بالسّياقات الخارجية لكن في الحدود التي يمكن أن ترسمها توجيهات النّص، معنى النّص لا يمكن أن يبنى إلاّ وفق إستراتيجية محددة.

5- مستويات المعنى:

من خلالها أنّ المعنى لا يظهر للقارئ دافعه واحدة و إنّما عبر مستويات وذلك بفعل الإدراك الجمالي، حيث يشير" أيزر" « أنّ النّص لا يظهر المعنى في نمط محدد من العناصر وإنّما يتأسس وفق مستويات تظهر إلى الوجود بفعل الإدراك الجمالي فهو يرى أنّ هناك مستويين تتم وفقهما عملية متواصلة لبناء المعنى،تحتل خلالها العناصر التي تسهم في ذلك البناء مواقعها بالانتقال من المستوى الخلفي(السّياق المرجعي)إلى المستوى الأمامي(النّص)» . تنظّم هذه النّظرية علاقة النّص بالسّياق الخارجي،وأنّ النّص لا يمكن فهمه إلّا على ضوء هذه الخلفية ،وكذلك كفاءة القارئ المعرفية وقدرته على الاستمرار في عملية القراءة والوصول إلى بناء الموضوع الجمالي.

6 - وجهة النظر الجوالة : Le ponant de vue mobile

تعد من المفاهيم النّقدية التي وظّفها " أيزر " ضمن نظريته ، بحيث يرى من خلال هذا المفهوم أنّ القارئ يجول في النّص فلا يمكن أن يفهمه دفعة واحدة إلّا من خلال المراحل المختلفة و المتتابعة للقراءة بدءا من البنيات الظّاهرة وصولا إلى البنيات الخفية التي تشكل بنيات الغياب في النّص وهذا يشير إلى أن وجهة النظر الجوالة هي نشاط قصدي واع يقوم به القارئ من خلال عملية الهدم و البناء و تكون هذه العملية لها علاقة بالخبرة الجمالية للقارئ و ما يدّخره من مرجعيات ومعايير،فيهدم ما بناه ليعيد البناء مرة أخرى «و هكذا فكل لحظة من لحظات القراءة هي جدلية ترقب وتذكر » ومنه أنّ فعل القراءة يختلف من فترة إلى أخرى و ثم تتشكّل عبر السيرورة التاريخية وجهات نظر مختلفة .

من خلال هذا نرى أنّ " ايزر " قد تميّز في مشروعه النّقدي حيث اشتغل على مجال جديد من مجالات الظّاهرة الأدبية ،كانت نظريته تنطلق من خطّين مزدوجين متبادلين من النّص إلى القارئ و من القارئ إلى النّص في إنتاج المعنى،وتجسيده عبر عمليات ملء الفراغات.

المراجع:

- ينظر: علي حمودين المسعود قاسم: إشكالات نظرية التلقي(المصطلح، المفهوم، الإجراء)، مقال منشور في مجلة الأثر، جامعة ورقلة(متاح على النت).
- بشرى موسى صالح: نظرية التلقي أصول و تطبيقات، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص 45.
- عبد الرحمان تبرماسين و آخرون : نظرية القراءة المفهوم والإجراء، منشورات مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة و مناهجها ، جامعة بسكرة ، الجزائر ،ط 1 ، 2009 ، ص 38 .

- ناظم عودة : الأصول العرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ، ط 1 ،1997 ، ص 140.
- روبرت هولب : نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2000، ص 67 .
- أسامة عميرات: نظرية التلقي النقدية و إجراءاتها التطبيقية،في النقد العربي المعاصر ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي المعاصر ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة الحاج لخضر ،باتنة ، 2010-2011 ، ص:53.
- رضا معرف : "جدلية التاريخ و النص و القارئ عند نقاد مدرسة كونستانس"، مجلة كلية الآداب و اللغات، ع12، جامعة بسكرة ، 2012، ص 277.
- سامي إسماعيل: جماليات التلقي، الأعلى للثقافة،القاهرة، مصر،ط2002،1، ص 111.
- فولفغانغ ايزر: فعل القراءة ، نظرية جمالية التجاوب في الأدب تر: حميد لحميداني، و الجيلالي الكدية، مكتبة المناهل،فاس،المغرب،[ط د]،[د ت]، ص 12.
- ينظر: عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل و قراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر،[دط]،[دت]ص 130.